المحاضرة 2: نشأة صناعة المعاجم

بدأت صناعة المعاجم منذ عهد سحيق على يد الهنود، واليونانيين، والمصريين، والصّينيين، ثُمّ نمت في العصر الوسيط على أيدي العرب ومنهم استفاد العبرانيون وغيرهم[1]، وتطورت حديثًا. ونتطرّق فيما يلي إلى جهود هذه الأمم لملاحظة طريقة ومنهج كلّ أمّه في صناعة معاجمها قديمًا وحديثًا.

1- التّأليف المعجمي قديمًا:

1-1-التّأليف المعجمي عند الآشوريين:

اهتم الآشوريون باللُّغة ومفرداتها وقواعدها، وعرفوا المعجمات قبل العرب بأكثر من ألف سنة، فقد ابتكروا معاجم خاصّة بلغتهم ذات ترتيب يغاير ترتيب العرب[2].

ووضع الآشوريون معجماتهم خوفًا على لغتهم من الضّياع، في حين تركوا نظام الكتابة الرّمزيّة القديمة مُستعينين بنظام الإشارات المقطعيّة أو الألفبائيّة ذات القيم الصّوتيّة، وبعد مضي زمن غَمُض عليهم معرفة النظام الجديد، فلجأوا إلى قوائم عرفوها بطريقتهم القديمة، وساعدهم على ذلك أنّ لغتهم السّومارية القديمة لم تكن قد انمحت بَعْد، حيثُ إنّ الكهنة كانوا يستعملونها في شعائرهم الدّينيّة، وعكفوا على جمعها في قوائم، اشتملت على رموز ألفاظ سومرية الأصل، مع بيان دلالتها الأكادية، وأودعوها مكتبة آشور بانيبال الكبير الّتِي كانت بقصر (قويونجيك) في نينوى (668-25) قبل الميلاد. ثُمّ اكتشفت هذه القوائم في أعمال التّنقيب العلمية، فصارت مصدرًا مهمًا لتاريخ الآشوريين[3].

انطلاقا مما سبق نستنتج بأنّ الآشوريين كانت لهم مبادرات في الصّناعة المعجميّة، وكان هدفهم الأول هو خوفهم من ضياع لغتهم وانقراضها.

---

[1] ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2009م، ص25.

[2] ينظر: مقدّمة الصّحاح، أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1404هـ/1984م ، ص41.

[3] ينظر: المعجمات العربيّة: دراسة منهجيّة، محمد علي عبد الكريم الرّديني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 2006م، ص18.

1-2-التّأليف المعجمي عند الصّينيين[1]:

كان الصّينيون من أسبق الأمم إلى وضع المعاجم، ففي (ق 11 ق. م) ألّف **باوتشي** معجمًا ضمّ (40.000 كلمة)، كما وضعوا معجم شوفان (SHAW-WAN) لصاحبه **هوشن** في عام (150 ق. م).

وفي سنة 530 بعد الميلاد ألّف **كويي وانج** معجمًا آخر عنوانه: يوبيان- يوبيين (Kulien)، وهي مجهولة هل هي معاجم ألفاظ أو معاجم موضوعات.

يقول فيشر: "إذا استثنيا الصّين لا يوجد شعب آخر يحقّ له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب"، وهذا يُؤكّد أنّ للصين باع في تأليف المعاجم.

1-3-التّأليف المعجمي عند اليونانيين[2]:

يُعدُّ علماء القرون الأولى بعد الميلاد **العصر الذّهبي** للمعاجم اليونانيّة، وبخاصّة في مدينة الإسكندريّة، حيثُ بلغ عدد المعاجم أكثر من (35 معجمًا) وجميعها مفقودة، وقد ألّفت على حسب الموضوعات (التّعريف بمفردات بعض الخطباء- المفردات الواردة في كتب أفلاطون في الفلسفة).

وأقدم المعجمات اليونانيّة هي:

- **معجم يوليوس بولكس، وهو كالمخصص لابن سيدة، مرّتب على الموضوعات.**
- **معجم فاليريوس فيلكس، وعنوانه: معاني الألفاظ.**
- **معجم اللّهجات والمحليات ِليشْبون السكندري.**
- **معجم ما ٱتفق لفظه واختلف معناه لأمونيوس السّكندري.**
- **ووضع أريون الطّيبي معجمًا في الاشتقاق.**

[1] ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص25.

[2] ينظر: نفسه، الصّفحة نفسها.

1-4-التّأليف المعجمي عند الهنود[1]:

بدأت الأعمال المعجميّة عند الهنود في شكل قوائم تضمّ الألفاظ الصّعبة الموجودة في نصوصهم المقدّسة (Vadic Texts)، ثُمّ تطوّر هذا النظام فأُلحق بكلّ لفظ في القائمة شرح لمعناه. ثُمّ ظهرت كتب لا تقتصر نفسها على ألفاظ النصوص المقدّسة، وأقدم ما وصلنا منها معجم ظهر قبل القرن السّادس الميلادي للمؤلّف **بوذي** اسمه **أماراسنها**،وكان اسم معجمه (Amara Kasa)، ولم يّتبع أيّ ترتيب يُيَسِّر اللّجوء إليه، كما يعيب المعاجم الهندية أنّها كانت إلى ما بعد القرن العاشر الميلادي فاقدة لأهمّ عُنصرين من عناصر المعجم، وهما: الشّمول والترتيب.

1-5-التّأليف المعجمي عند العرب:

انبثقت فكرة المعجم الشّامل في أذهان اللّغويين العرب منذ وقت مبكر لا يتجاوز منتصف القرن الثّاني الهجري حينما ألّف الخليل بن أحمد الفراهيدي (100- 175هـ) معجمه الشّهير "**كتاب العين**" بطريقة إحصائيّة قامت على جملة من الأسس منها: حجم الكلمة، والتّرتيب الصّوتي، ونظريّة العناصر، والتّوافيق والتّباديل، وبدء الثّاني مما يلي الأول، ثُم تتابعت المعاجم في القرون الثّلاثة التّاليّة، وتنوعت بشكل لا تكاد تعرفه معاجم اللّغات الأخرى، فرتّبت إمّا بحسب الألفاظ أو بحسب المعاني، ورُتّبت معاجم الألفاظ إمّا بحسب التّرتيب الصّوتي أو الألفبائي أو بحسب الأبنية (الأوزان)، ورُتّبت المعاجم الألفبائيّة إما بحسب الأوائل أو الأواخر[2]. ولعلّ كلّ ذلك نُدرجه ضمن **المدارس المعجميّة**[3].

---

[1] ينظر: البحث اللُّغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988م، ص57- 60.

[2] ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص25، 26.

[3] **المدارس المعجميّة**: هي تلك التّصنيفات للمعاجم في اللُّغة العربيّة بحسب طريقة ترتيب الألفاظ فيها وجمعها في أبواب مرتّبة ترتيبًا معيّنًا، وقسّمها "**عبد الغفور عطّار**" إلى: مدرسة الخليل، ومدرسة أبي عبيدة، ومدرسة الجوهري، ومدرسة البرمكي، وقسّمها "**حسين النصّار وصلاح رواي**" إلى: مدرسة التّقليبات، ومدرسة القافيّة، ومدرسة الأبجدية العربيّة، ومدرسة الواقعيّة، وقسّمها "**عبد القادر عبد الجليل**" إلى: مدرسة نظام المخارج التّقليبيّة، ومدرسة نظام الأبنية والتّدوير الألفبائي، ومدرسة نظام الألفبائيّة الأصوليّة، ومدرسة نظام التّقفية، والمدرسة المعاصرة، ينظر: المدارس المعجميّة العربيّة: نشأتها- تطورها- مناهجها، صلاح رواي، دار الثّقافة العربيّة، القاهرة، ط1، 1411هـ/1990م، ص38، وينظر: مقدّمة الصّحاح، عبد الغفور عطّار، ص100 وما بعدها، وينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره، حسين النصّار، دار مصر للطباعة، مصر، دط، 1408هـ/1988م، 173/1 وما بعدها، وينظر: المدارس المعجميّة: دراسة في البنية التّركيبية، عبد القادر عبد الجليل،دار صفاء للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن ط2، 1435هـ/2014م، ص99- 282.

وعليه، فلا عجب أن يبهر الغربيون بهذا التّفوّق في مجال المعجم، وأن يشهدوا للعرب بالسّبق والتّميّز، كقول "**Zgusta**": إنّ العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز، سواء في الزّمان أو المكان، بالنسبة للعالم القديم أو الحديث، وبالنسبة للشّرق أو الغرب[1].

وبذلك فقد كان مسار نشأة المعاجم عند العرب حافلًا، وكان نتاجه مجموعة من المعاجم المتنوعة.

2- التّأليف المعجمي حديثًا:

نلخص اهتمام الغرب والعرب بالصّناعة المعجميّة حديثًا في شكل عناصر نعرض فيها أهمّ الجهود.

2-1-عند الغرب[2]:

- ففي سنة 1960م عقدت جماعة من اللّغويين والمعجميين مؤتمرًا لهم في جامعة **إنديانا** لمناقشة المشكلات المختلفة المتعلّقة بالصّناعة المعجميّة، وقد جمعت أبحاثهم الّتِي ألقوها في المؤتمر، ونشرت في كتاب استقبله المعنيون باهتمام بالغ.
- أثار ظهور قاموس **ويبستر** الدّولي الثّالث لسنة 1961م عاصفة من النقد والتّعليق اشترك فيها عدد كبير من اللّغويين والمعجميين والصّحفيين، وانقسم هؤلاء بين مؤيّد للاتجاه الوصفي الّذِي تبناه في ذلك المعجم ومعارض له.
- في عام 1963م نشر كاتس وفودور نظريتهما في علم الدّلالة وطالبا بأن تؤلّف المعجمات على هدي مبادئ نظريتهما.

---

[1] ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص27.

[2] ينظر: الجهود المعجميّة لابن جني في ضوء اللّسانيات الحديثة، بوشيبة عبد القادر، إشراف: غيثري سيدي محمد، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، جامعة تلمسان، قسم اللُّغة والأدب العربي، 2012م- 2013م، ص35 وما بعدها.

وغيرها من الجهود المتواصلة في الارتقاء بالصّناعة المعجميّة من خلال مناقشة كلّ القضايا المعجميّة، ومحاولة صناعة معاجم تستدرك النقائص السّابقة.

2-2-عند العرب:

نجد جملة من الجهود الّتي أدت إلى النهوض بالصّناعة المعجميّة عند العرب حديثًا نُشير إليها في العناصر التّاليّة:

- ❖ جهود اليسوعيين في إنشاء المعاجم.
- ❖ تُعدُّ مبادرة ابن الطّيب الفاسي (ت 1110هـ) في أعماله المعجميّة المتعدّدة، وبخاصة في: شرح كفاية المتحفظ وإضاءة الرّاموس جهد كان له الدّور في الدّفع قدمًا بالصّناعة المعجميّة العربيّة[1].
- ❖ جهد أحمد فارس الشّدياق في معجمه الموسوم بالجاسوس على القاموس وغيرها من الجهود.

[1] ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص28.